02-المحاضرة الثانية: المسح الأثري مفهومه وخطواته.

إنّ الاهتمام بالمسح الأثري بدأ عندما أصبح للعمل الميداني في الحقل الأثري منهجه العلمي المنظم، الشيء الذي أدى بالمسح الأثري إلى أن يصبح عنصراً هاماً وضرورياً لا بد له أن يسبق عملية الحفر في أي موقع من المواقع الأثرية القديمة، وذلك من أجل ضمان الحصول على نتائج حسنة كانت بعثة المسح الأثري ترجو الوصول إليها، لهذا فإن المسح من هذا المنطلق يعدّ ويعتبر عملاً تمهيدياً لا غنى لبعثة الحفر عنه، كما أنه لا يوجد خلاف حول أهميته وضرورته[2].

أ-مفهومه:

- **لغة:** ومَسَحَ في الأرض يَمْسَحُ مُسُوحاً: ذهب، والصاد لغة، وهو مذكور في موضعه. ومَسَحَتِ الإبل الأرض يومها دَأْباً أي سارت فيها سيراً شديداً[3].

والأَمسحُ من الأرض: المستوي. والمساحة: ذَرْعُ الأرض، يقال: مَسَحَ يَمْسَحُ مَسْحاً. ومَسَحَ الأرضَ مِساحة أي ذَرَعَها[4].

- **اصطلاحا:**

إنّ اكتشاف الآثار سهل وصعب في آن واحد، فالسهل عندما يتم العثور عليها عن طريق الصدفة، أو عندما يكون قسم من معالمها ظاهراً أو يطفو على سطح الأرض، والصعب عندما يتم إدراكها والإحساس بوجودها ولكن لا يعلم أين موقعها، وفي كلتا الحالتين عملية اكتشافها والتنقيب عنها ودراستها تتطلب جهوداً وأساليب علمية ووقتاً طويلاً[5].

لذا كان المسح الأثري هو نقطة البداية للعمل الميداني الأثري، والوسيلة الرئيسية المستخدمة للاستكشاف قبل أعمال الحفر، وقد يكون المسح أيضا لموقع أثري يراد حفره، أو لمنطقة جغرافية معينة، أو لدولة كاملة. وعملية المسح الأثري قد تهدف من أجل تحقيق هدف علمي واحد، أو عدّة أهداف مجتمعة[6].

---

[2]- رزق (عاصم محمد)، علم الآثار بين النظرية والتطبيق، مكتبة مدبولي، 1996، ص93.

[3]- ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد)، لسان العرب، مج02، دار صادر، بيروت، ص594.

[4]- نفسه، ص595.

[5]- نخله (منى يوسف)، علم الآثار في الوطن العربي -مدخل، منشورات جروس برس، طرابلس، لبنان، د ت، ص220.

[6]- قادوس (عزت زكي حامد)، علم الحفائر وفن المتاحف، مطبعة الحضري، الإسكندرية، 2003، ص45.

كلمة **مسح أو survey** ترمز كما هو شائع ومعروف إلى مجهود معين يبذل لاستقصاء واستجلاء حقائق ووقائع طبيعية في المادة من أجل جردها ومعرفة آفاقها المختلفة. إن هذا المفهوم هو أبسط وأكمل تحليل للمقصود بالمسح الأثري، ووفقا لهذا المضمون فقد بدأ استخدام المسح الأثري منذ بداية الاهتمام المنظم بالتنقيب والبحث عن الآثار، فلم يكن هناك أية تنقيب بدون سابق مسح طبيعي وحتى في حالات الاكتشاف الغير المقصود[7].

إنّ المقصود بالمسح الأثري –**Archaeolagical survey** هو ارتياد المواقع التي تعود إلى فترات زمنية قديمة، والتي بقيت مخلفات وآثار الإنسان على سطحها، وذلك كله من أجل اختيار الموقع الذي يمكن إجراء أعمال الحفر العلمية فيه، ونشير إلى أن هذه الآثار غالبا ما تكون قد تأثرت بالكثير من العوامل المختلفة والمتنوعة كالطبيعية والجغرافية والبشرية والمتمثلة في مظاهر السطح والخطوط الكنتورية وتغيرات الطقس وتطور الزراعة وتوسع المستوطنات السكنية التي تكون توسعاتها على حساب المواقع الأثرية[8].

ب– <u>خطوات المسح الأثري:</u>

إنّ عملية المسح الأثري لكي تكون ناجحة وذات فعالية وجدوى، فإنها تمرّ بعدّة خطوات ومراحل يتبعها ويطبقها فريق العمل في الحقل الأثري، نذكر منها ما يلي:

–يجب في البداية جمع المعلومات التي تتكلم وتتحدث عن الموقع من الناحية التاريخية والجغرافية والأثرية والبيئية، كما يجب الاطلاع على الخرائط القديمة التي تصور وتتحدث عن الموقع في محاولة لعمل تخيل مبدئي للتطور التاريخي الذي مرّ به الموقع، حيث أن أعمال المسح الأثري والتنقيب يجب ألا تقف عند الحدود السياسية أو الطبيعية الحديثة، بل يجب علينا أن نتعامل مع شكل الموقع قديماً ولا نرتبط بشكله الحالي، حتى يمكننا أن نصل في النهاية إلى نتائج واضحة وصحيحة ومنطقية تمكننا من الانطلاق في العمل الأثري[9].

---

[7]– مصري (عبد الله حسن)، **<u>مفاهيم جديدة للمسح الآثاري وعلاقته بحركة التنقيب</u>**، من كتاب: حركة التنقيب عن الآثار ومشكلاتها في الوطن العربي، المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم، إدارة الثقافة، تونس، 1989، ص11.

[8]– رزق (عاصم محمد)، المرجع السابق، ص93.

[9]– الشوكي (أحمد)، علم الحفائر الأثرية، مراجعة وتقديم: أحمد عبد الرزاق أحمد، القاهرة، 2013، ص ص31، 32.

– علي رئيس الفريق في البداية أن يحاول جمع المعلومات من السكان الذين يقيمون بالقرب من الموقع خاصة المعمرين، كما يمكن أن يريهم أيضاً بعض الأشياء ذات الصفة الأثرية مثل قطع الفخار؛ وذلك ليتبين إذا ما كانوا قد شاهدوا نظيراً لها وما يشبهها في موضع ما بالموقع أم لا[10].

– في البداية يقوم فريق العمل بتقسيم الموقع إلى مربعات تبعاً لعدد الفريق ومساحة الموقع، ثم يبدأ هذا الفريق بالسير في خط مستقيم بحيث يبتعد كل عضو عن الآخر حوالي خمسة أمتار تقريباً، ثم يتقدم الفريق في خط مستقيم إلى نهاية الموقع مع تحديد كل مربع يتم الانتهاء من مسحه على الخريطة، ثم يتم البدء بالمربع الذي يليه، ويفضل غالباً أن يكون ذلك مع ظهور أول ضوء للشمس في الصباح الباكر، حيث أن الندى والصقيع المتساقط أثناء الليل يكون له دور كبير في الكشف عما في باطن التربة من أساسات أو جدران مدفونة، والتي في أغلب الأحيان لا تمتص الماء بنفس القدر الذي تمتصه التربة المحيطة بها، لذلك تظهر على سطح الأرض على شكل خطوط مبللة بالمياه تعتمد درجة وضوحها على شدّة برودة أو حرارة الجو في تلك الليلة من جهة، وكذلك مدى قرب أو بعد هذه الأساسات والجدران عن سطح الأرض من جهة أخرى[11].

– عند ملاحظة أي تغير أو أي ظواهر أثرية من قبل أحد أفراد الفريق (مثل قطع الفخار–تغير في شكل سطح التربة– قطع حجرية صغيرة لا تتناسب مع طبيعة الموقع...) يتم وضع علامة مميزة تتمثل في راية صغيرة مثلا، ثم يكمل السير بمحاذاة زملاءه حتى لا يترك فجوه بين الفريق أثناء عملية المسح[12]. **(الصورة رقم:01)**

– بعد إنهاء المسح يحدد المسؤول عن المسح الأثري أكثر الأماكن التي تم وضع علامات بها، ثم يقوم بعد ذلك بتحديد موقعه على الخريطة، وبعد دراسة هذا الموقع بدقة وتصويره فوتوغرافياً يمكن رسم خريطة مبدئية استناداً إلى ما سبق من معطيات، إذ يمكننا حينها أن نحدد نقطة بدء التنقيب في هذا الموقع[13].

---

[10]– الشوكي (أحمد)، المرجع السابق، ص32.

[11]– الشوكي (أحمد)، المرجع السابق ، ص32.

[12]– نفسه، ص32.

[13]– الشوكي (أحمد)، المرجع السابق، ص33.

الصورة رقم01: صورة توضع عملية المسح الأثري سيرا على الأقدام. عن: الشوكي أحمد، ص33.